مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(فيليبي ٤: ٤-٩)

يا إخوةُ افرحوا في الربِّ كُلَّ حينٍ وأقولُ أيضاً افرحوا* وليَظهَرْ حِلمُكم لجميع الناس. فإنَّ الربَّ قريبٌ* لا تهتمُّوا البتَّةَ بل في كلِّ شيءٍ فلتكُنْ طلِباتُكم معلومةً لدى الله بالصلاةِ والتضرُّعِ مع الشكر* ليَحفَظْ سلامُ الله الذي يفوقُ كلَّ عقلٍ قلوبَكم وبصائرَكم في يسوعَ المسيح* وبعدُ أيُّها الإخوةُ مهما يكُنْ من حقٍّ ومهما يكن من عَفافٍ ومهما يكُن من عدلٍ ومهما يكُن من طهارةٍ ومهما يكُنْ من صِفةٍ مُحبَّبةٍ ومهما يكن من حُسنِ صيتٍ إن تكن فضيلةٌ وإن يكُن مَدحٌ ففي هذه افتَكِروا* وما تعلَّمتُموهُ وتسلَّمتُموه وسمِعتموه ورأيتموه فيَّ فبهذا اعمَلوا. وإلهُ السلامِ يكونُ معكم.

«إفرحوا في الرب كل حين»

بهذه العبارة يبدأ المقطع المتلو علينا في هذا اليوم، من رسالة القديس بولس إلى أهل فيليبي، ونحن نشهد في أحد الشعانين دخول المسيح المخلّص إلى آلامه الطوعية، إلى ظفره الكبير على الشرير وعلى مفاعيله في الخليقة. الكنيسة المقدسة تبادر أبناءها المؤمنين، الواصلين إلى هذا اليوم العظيم بالتوبة العميقة، بعبارة «افرحوا» لأن اشتراكهم في ظفر الرب العظيم بات قريباً، على ما سوف يقوله الرسول بعد قليل.

العدد ٢٠٠٩/١٥

الأحد ١٢ نيسان

أحد الشعانين

تذكار أبينا البار باسيليوس المعترف أسقف بارية

الرسول بولس يقول لنا «افرحوا في كل حين»، وفي التطويبات يعلّي السيد شأن الحزانى (متى ٥: ٤) ويعد الضاحكين بالويل (لو ٥: ٢٦). هل يناقض الرسول قول سيّده؟ قطعاً لا، فالرسول يقول «افرحوا في الرب»، ومَن كان مُقيماً في الرب هو مقيم في الفرح، والفرح هذا مبارك لأنه من ثمار اتحاد المؤمن مع ربّه. أما الضحك الذي حذّر منه السيد، فهو الضحك الآتي من سطحيات هذه الحياة، وأخطر ما فيه أنه يضع الإنسان في حال من التخدير النفسي، من الراحة الموضعية التي تلهي عن المرض. الحزانى الذين طوّبهم الرب هم الباكون على خطاياهم، وهؤلاء هم حتى في عمق حزنهم فرحون، لأنهم ممتدون بالرجاء إلى الاتحاد بالرب، إلى ملء الفرح. في مكان آخر من الرسالة يقول الرسول إلى أهل فيليبي قد أُعطيت لهم نعمة أن يتألموا من أجل المسيح، والنعمة سبب فرح دائماً. وهذا القول لا يعني، بأي شكل من الأشكال، أنه على المسيحي أن يكون هاوياً الآلام بالمطلق. النعمة التي يقول عنها الرسول هي أنه صار لنا، منذ أن أزال المخلّص عنا قيود الشرير وسطوته، حرية أن نسعى إلى التطهّر مما فينا من دنس، بمؤازرة المسيح نفسه، وصولاً إلى الامتلاء منه حتى الاتحاد الكامل معه. هذا ملء الفرح، وهو فرح لا يقوى عليه حزن. تنبغي الإشارة إلى أن هذا الفرح، الذي يدعونا إليه الرسول مشدّداً «وأيضاً أقول افرحوا»، ليس فرحاً ختامياً بمعنى أنه لا يُبلَغ إلاّ بختام الجهاد. إنه فرح يتذوّقه المؤمن منذ لحظة التزامه المسيح التزاماً كيانياً، فهو من تلك اللحظة يعرف أنه آيل إلى

الإنجيل

(يوحنا ١٢: ١-١٨)

قبل الفصح بستة أيامٍ أتى يسوعُ إلى بيتَ عنيا حيث كان لعازرُ الذي ماتَ فأقامهُ يسوعُ من بين الأموات* فصنعوا له هناك عشاءً وكانت مرتا تخدِمُ وكان لعازرُ أحدَ المتَّكئين معه* أمَّا مريم فأخذتْ رِطلَ طيبٍ من ناردينٍ خالصٍ كثيرِ الثمن ودهنتْ قدمَيْ يسوع ومسحتْ قدميهِ بشعرِها* فامتلأ البيتُ من رائحةِ الطيبِ* فقال أحدُ تلاميذِه يهوذا بنُ سمعان الإسخريوطيُّ الذي كان مزمِعاً أن يُسْلِمَه لِمَ لم يُبَعْ هذا الطيبُ بثلاثِ مئةِ دينارٍ ويُعطَ للمساكين* وإنَّما قال هذا لا اهتماماً منه بالمساكين بل لأنَّه كان سارقاً وكان الصندوقُ عندهُ وكان يحملُ ما يُلقى فيهِ* فقالَ يسوعُ دَعْها إنَّما حَفِظَتْهُ ليومِ دفني* فإنَّ المساكينَ هم عندكم في كلِ حينٍ وأمَّا أنا فلستُ عندَكم في كلّ حينٍ* وعلِمَ جمعٌ كثيرٌ من اليهود أنَّ يسوعَ هناك فجاءوا لا من أجلِ يسوعَ فقط بل لِينظروا أيضاً لعازَرَ الذي أقامهُ من بين الأموات*

حيث «لا يكونُ حزنٌ ولا صُراخٌ ولا وَجَعٌ في ما بعدُ لأنَّ الأمورَ الأولى قد مَضَتْ» (رؤيا ٢١: ٤).

«أيضاً أقول افرحوا»، يكرّر الرسول القديس، والتكرار هنا يفيد التشديد والاستمرار في آن. ذلك أن المؤمن المثبِّت عزمه على المسيح، حسبه الإلتقاء بمخلّصه فرحاً، ولا يسمح لأي من مشوّشات هذه الحياة أن تشتته عن غايته ومبتغاه. إن مرّ بحزن أو بضيق يبقى فرحاً لا لأنه يتألم بل لأنه بمؤازرة المسيح متجاوز لألمه. قديسونا الشهداء والمعترفون واجهوا آلامهم والاضطهادات بالفرح فقط لأنها من أجل المسيح، وكأنها أتت لتؤكد لهم أنهم على الطريق الصحيح. لأجل هذا يحث الرسول سامعيه على الحفاظ على وداعتهم أمام «الناس كلّهم»، أي أمام الأقربين والأبعدين، المحبّين والمبغضين. الوداعة تحمي الفرح الآتي من المسيح، من التفاعل النفسي الذي يسببه هذا الأمر أو ذاك من أمور هذه الحياة. بالوداعة يحفظ المؤمن يقظته وبالتالي اتصاله بالرب، ودوام اليقظة شأن حيوي للمؤمن لأنه يعرف أن «الرب قريب»، على حد قول الرسول الذي يدعو المؤمنين إلى أن لا يهتموا بشيء مما يحيط بهم وقد يشوّش يقظتهم. ولعل في هذا التنبيه إشارة لا إلى أحزان هذا العالم وحسب بل وإلى مبهجاته أيضاً. ليس من ضير البتة في أن يتفاعل المؤمن بشرياً مع ما يحيط به، لكن الخطر الأكبر يكمن في أن يضيّع المؤمن أولوياته. أمور الدنيا كلّها تعبر، و«الرب قريب» أي إن دينونته قريبة. الكنيسة اليوم في أحد الشعانين تدخل مؤمنيها فعلياً في الزمن الذي فيه يدين السيد أصول الخطيئة ومفاعيلها بموته، ويملأ مشاركي حياته من فرح قيامته.

في الرسالة لهذا اليوم تحفيز على الفرح «في الرب»، وفيها أيضاً الوسيلة إلى حفظ هذا الفرح ووقايته، والوسيلة هذه هي «الصلاة والتضرّع مع الشكر» لله. إنها الدواء في الألم والعزاء في الحزن، والعرفان وردّ المجد إلى الله على كل شيء. والمقيم في الله يصبح شكوراً بالطبع، وهكذا تصبح طلباته «معلومة لدى الله». ومتى كنتم على هذه الحال، يقول الرسول بولس، سلام الله أي مصالحته الحاصلة بالفداء الكبير، والصادرة عن محبة لا يتسع لها عقل ولا قياس، يحفظ «قلوبكم وبصائركم» متّحدين بيسوع المسيح، ملء الفرح الذي لا يقوى عليه حزن.

الإثنين، الثلاثاء والأربعاء العظيم

تسمّي الكنيسة المقدسة الأسبوع الذي يسبق قيامة الرب من بين الأموات «الأسبوع العظيم المقدس». فهذا الأسبوع هو الأعظم والأقدس في الروزنامة الكنسيَّة إذ فيه نلنا خلاصنا لمّا صُلب الرب وقام من بين الأموات. كل شيء نقوم به في هذا الأسبوع، من صلوات وجهادات روحية، يقودنا طبعاً نحو «عيد الأعياد وموسم المواسم»، نحو عيد قيامة ربنا من بين الأموات حيث حصاد كل عمل يسوع الخلاصي. لذا في الكنيسة كل أحد مكرّس للقيامة. وللدخول في هذا الأسبوع قامت الكنيسة بتهيئتنا لمدَّة أربعين يوماً بالتوبة والصلاة والإرشاد الروحي

فأتمرَ رؤساءُ الكهنةَ أن يقتلوا لعازرَ أيضاً* لأنَّ كثيرين من اليهود كانوا بسببهِ يذهبون فيؤمنون بيسوع* وفي الغد لمَّا سمع الجمعُ الكثيرُ الذين جاءوا إلى العيد بأنَّ يسوعَ آتٍ إلى أورشليم أخذوا سَعَفَ النخل وخرجوا للقائه وهم يصرُخون قائلين: هوشَعْنا مباركٌ الآتي باسم الربِّ ملكُ إسرائيل* وإنَّ يسوعَ وجد جحشاً فركِبه كما هو مكتوبٌ* لا تخافي يا ابنةَ صهيون. ها إنَّ ملِكَكِ يأتيكِ راكباً على جحش ابنِ أتانٍ* وهذه الأشياءُ لم يَفهَمْها تلاميذُهُ أوَّلاً ولكن لمَّا مُجّد يسوعُ حينئذٍ تذكَّروا أنَّ هذه إنَّما كُتِبتْ عنه وأنَّهم عمِلوها له* وكان الجمعُ الذين كانوا معه حين نادى لعازرَ من القبرِ وأقامهُ من بين الأموات يشهدون له* ومن أجل هذا استقبَلَهُ الجمعُ لأنَّهم سمعوا بأنَّه قد صنعَ هذه الآية.

تأمل

لنصرخ اليوم إلى المسيح أُوصَنّا (هوشعنا) الذي معناه خلّصنا أيها الإله السماوي. البارحة أقام المسيح لعازر من بين

حتى تكون علاقتنا سلامية مع الله وأنفسنا والبشر حولنا. هيّأتنا لكي نكون مشاركين فعليين، لا مجرد مراقبين ومشاهدين، في سر الخلاص والتدبير الإلهي وفي حَدَثَي آلام الرب وقيامته الجليلين، من خلال مشاركتنا بتذكارات وخِدَم هذا الأسبوع الليتورجية. فنحن من خلال القراءات من العهدين القديم والجديد والترانيم والزياحات والصلوات التي نتلوها في خِدَم هذا الأسبوع نجد تحقيق النبوءات المسيانية وأعمال الله العظيمة، بشخص الرب يسوع، التي تمنحنا غفران الخطايا وتخلّصنا من آلام الموت الأبدي.

خِدَم الأيام الثلاثة الأولى من هذا الأسبوع تقدِّم لنا مجموعة مواضيع مرتكزة أساساً على آخر أيام الرب يسوع على الأرض. فقبل الآلام جرت في أورشليم أحداث عدَّة مع يسوع وتفوّه بأمثال وأقوال وقام بحوارات تمحورت حول بنوّته لله وملكوت الله والمجيء الثاني، إضافة إلى إدانة يسوع رياء القادة الذين سيحكمون عليه بالموت وظلمهم.

خِدَم هذه الأيام الثلاثة متشابهة من حيث الهيكلية الليتورجية ومن ناحية المواضيع الأساسية التي تتوقع آلام الرب وتعلن حتمية المجيء الثاني والدينونة. صلاة سَحَر هذه الأيام المعروفة بصلاة الختن تُقام عشية هذه الأيام وكأنها تريد استباق واستعجال آلام الرب. وفي صباح هذه الأيام تُتلى صلوات الساعات والغروب مترافقةً مع قداس القدسات السابق تقديسها.

كلمة ختن تعني العريس، وقد استقت الكنيسة عبارة الختن من مَثَل العذارى العشر (متى ٢٥: ١-١٣) الذي يُتلى في قداس الثلاثاء العظيم. فكما ان مَثَل العذارى يأتي ضمن سياق الأمثال التي قالها الرب قبل انطلاقه إلى الآلام والتي يدعو فيها المؤمنين به إلى التيقظ والسهر والانتباه إلى حياتهم الروحية والدنيوية كي لا يفاجئهم المجيء الثاني ويجدهم غير مستعدين فيذهبون إلى الهلاك، هكذا أيضاً معظم الصلوات التي نتلوها في صلاة الختن تحثنا، قبل الدخول في الآلام والقيامة التي فتحت لنا أبواب الملكوت، على السهر والتيقظ قبل أن تغلق هذه الأبواب فجأة أمامنا في المجيء الثاني.

«في يوم الإثنين العظيم المقدس نصنع تذكار يوسف المغبوط الكلّي الحسن مع التينة التي لُعنت من الرب ويبست» (سنكسار سَحَر الإثنين). يوسف هو ابن يعقوب الذي نقرأ قصته في سفر التكوين (٣٧-٥٠)، الذي رغم صلاحه الكامل قاسى الأمرّين من إخوته حتى انهم باعوه عبداً من أهل مصر، إلاّ ان الله كافأه جزيلاً في الأخير. لذلك رأت الكنيسة في يعقوب صورة للمسيح. قصة يوسف تشهد لقدرة الله ومحبته ووعده بالخلاص. يقف يوسف أمامنا نموذجاً للتمسُّك بالأخلاق الفاضلة والثقة بأن الله لا يترك أحباءه الذين صُلب وقام من أجلهم. كلمات يوسف التي قالها لأخوته الذين أذوه هي ما نتعلمه: «فقال لهم يوسُفُ لا تخافوا لأنَّه هل أنا مكانَ اللهِ. أنتم قصدتم لي شرًّا، أمَّا اللهُ فقصدَ به خَيراً لكي يفعَلَ كما اليومَ ليُحيي شعباً كثيراً. فالآن لا تخافوا أنا أَعُولُكم وأولادكم. فعزَّاهم وطيَّب

الأموات، واليوم يسير هو بنفسه إلى الموت. البارحة نبع الحياة وهب الحياة لغيره، واليوم معطي الحياة يأتي إلى الموت. البارحة حلّ لفائف لعازر، واليوم يأتي ليلتفّ هو نفسه طوعاً باللفائف. البارحة أخرج الإنسان من الظلمة، واليوم يأتي ليدخل الظلام وظلال الموت من أجل الإنسان. البارحة ستة أيام قبل الفصح وهب الثلاثيُّ الأيام للأختين أخاهما الرباعيَّ الأيام بحواسه الخمس، واليوم يسير بنفسه نحو الصليب. لقد وهب مريم الميتَ الرباعيّ الأيام، بينما يهب المسيح الثلاثيُّ الأيام نفسه للكنيسة. هناك فقط بيت عنيا تتعجّب، وهنا تعيّد الكنيسة بأسرها. تعيّد عيد الأعياد، وعندها في الوسط ملك القوات اللاهيولية بمثابة عريس وملك. تعيّد عيداً كزيتونة مثمرة في حديقة الله، زيتونة تظلّل بأوراقها الدائمة. تعيّد عيداً بمثابة زنبقة ربيعية. حيث المسيح هناك الكرمة التي تقول: أنا هو الكرمة الحقيقية. هناك الرحيم الذي يرحم حقاً كل الواضعين رجاءهم فيه.

القديس أبيفانيوس القبرصي

قلوبَهم» (تك ٥٠: ١٩–٢١).

مقابل يوسف لدينا التينة التي لعنها يسوع وهو في طريقه إلى أورشليم ليُصلب، لأنه لم يجد فيها ثمر، فيبست وتساقطت أوراقها. التينة هي صورة للخليقة الساقطة ولكل واحد منا يدّعي التديّن والأخلاق لكنه في الحقيقة فشل في حمل الثمار لأن حياته فارغة من كل عملٍ نافع. دينونة المسيح لنا على قلّة إيماننا وقلة محبّتنا له وللبشر وعلى عدم قيامنا بالخير آتية لا محالة. المسيحي بالإسم لا يستحق الملكوت. المسيحية الأصلية هي حيوية ومثمرة بالأفعال. مَن يريد أن يدخل الملكوت عليه أن يتصرَّف منذ الآن كإبن الملكوت، كيوسف.

«في يوم الثلاثاء العظيم المقدَّس نصنع تذكار مَثَل العَشَر عذارى» (سنكسار سَحَر الثلاثاء). في قداس الثلاثاء نقرأ (متى ٢٥) مَثَل العذارى مع مَثَل الوزنات والدينونة (كنت جائعاً فأطعمتموني)، لذا فإن صلوات هذا اليوم تشدِّد على ان دينونة الله آتية لا محالة في المجيء الثاني الذي سيحل في وقت يراه الله مناسباً ولا قرار لنا بتوقيته. لذا علينا التيقظ والسهر والعمل. لا ينفع أن تكون «آدمياً» فقط كالذي طمر الوزنة وكالعذارى الجاهلات الخمس، بل يجب أن يكون لديك أعمال تؤهِّلك للدخول إلى الملكوت كما يرد في مَثَل الدينونة. لذلك نحن الذين نحكم على أنفسنا بأن يُغلق الباب في وجهنا.

«في يوم الأربعاء العظيم المقدس... نصنع تذكار المرأة الزانية التي دهنت الرب بطيبٍ لأن ذلك حصل قبل الآلام ببرهة جزئية» (سنكسار سَحَر الأربعاء).

إنجيل قداس هذا اليوم (متى ٢٦: ٦–١٦) يورد قصة المرأة الزانية التي أظهرت توبة كبيرة وقصة يهوذا الخائن الذي قبض ثلاثين من الفضة ثمناً لدم يسوع. الأولى تحرَّرت من الخطيئة ونالت الغفران بقرارها الحر بالإعتراف بيسوع على انه رب وبالإبتعاد عن الخطيئة والعودة إلى الأحضان الأبوية. ويهوذا أعمته شهوة المال فصار عبداً للخطيئة أيضاً بقراره الحر فسقط في جب الموت. الزانية ويهوذا يقفان أمامنا اليوم ويسألاننا عن قرارنا الحر بالسير وراء يسوع أم بخيانته وهو الذي مات وتألم لأجلنا.

«إن الخاطئة لما كانت تُقدِّمُ الطيبَ كان التلميذُ يُشارِطُ مخالفي الناموس، أما تلك فكانت تفرَحُ بسكبها الطيبَ الجزيلَ الثمن، وأما ذاك فأسرعَ ليبيعَ مَن لا يُقدَّرُ بثمن. تلك اعترفت بالسيدِ وهذا انفصلَ عن الربّ. تلك انعتقت مُحرَّرةً ويهوذا صار للعدوِّ عبداً. فرديءٌ هو التهاونُ وعظيمةٌ هي التوبةُ، فامنحنا إياها يا مُخلِّصُ، يا مَن تألَّمَ عنا، وخلِّصنا» (من عشية الثلاثاء العظيم المقدَّس).

«يا لشقاءِ يهوذا لأنَّه أبصرَ الزانيةَ تُقبِّلُ آثارَ القدَمَيْن وهو كان يُضمِرُ الغِشَّ بقُبلَةِ التسليم. تلك حلَّتِ الضفائرَ وهذا ارتبط بالغضبِ وقدَّمَ عوَضَ الطِّيبِ الشرَّ المُخزي، لأنَّ الحسَدَ يُذهِلُ صاحِبَهُ عما فيه خيره. فيا لشقاءِ يهوذا، فنَجِّ منه يا اللهُ نفوسنا» (من عشية الثلاثاء العظيم المقدَّس).

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb